مجلة المقري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية
ISSN 2602-6201
المجلد03/ العـدد: 02 (2020)، ص 90- 107

الازدواجية اللغوية في المجتمع الجزائري المجالات والأسباب

Linguistic duplication in Algerian society, areas and causes

حمزة نايلي دواودة*

المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة العلامة الشيخ مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري، الجزائر

hamzanaili078@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/06/14 تاريخ القبول: 2020/09/13 تاريخ النشر: 2020/12/31

ملخص:

تتجسّد أهميّة المقال: في كونه يميط اللّثام عن اللغة المستعملة في المجتمع الجزائري ، بعد الكشف عن اللبس الحاصل بين مصطلحي الازدواجية والثنائيّة اللغويتين، اللتين تطبعان اللسان الجزائري، وأسبابهما، ومن ثمّة البحث عن الحلول لتجنب إصابة المؤسسات التعليمية بالدّاء الذي يعاني منه المجتمع (الحمام اللساني) أو محاولة معالجته والتّقليل من أضراره إن وجد حقّا، وبالتّالي درءٌ لضرٍّ واقع، أو محتمل وقوعه في الأقسام التّعليميّة.

كلمات مفتاحية:الازدواجية اللغوية ، الثنائية اللغوية، اللغة ، المجتمع ، المتكلم .

Abstract:

The importance of the article is that it reveals the language used in Algerian society, after revealing the confusion between the terms duplicity and bilingualism, which characterize the Algerian tongue, and their causes, and hence search for solutions to avoid the infecting educational institutions to the suffering of the community (linguistic bath) or to try to treat it and reduce its harms if it really exists, and thus to prevent real harm, or potentially occurring in the educational departments.

Keywords: linguistic duality, bilingualism, language, society, speaker.

* **المؤلف المرسل:** حمزة نايلي دواودة

1.مقدمة:

تعدّ اللغة العربية اللغة الرّسميّة لأمّتنا الجزائريّة، واللّغة التي تربط بين ماضينا وحاضرنا، غير أنّ الوضع الرّاهن، الذي يسود مجتمعنا اللغوي يوحي بغير ذلك، فالتّواصل العام بين أبناء هذه الأمّة لم يعد بلغة الضاد، التي أضحت في صراعٍ دائمٍ مع مظاهر لغويّة دخيلة، وهي أخطار تهدّدها، محاولة جعلها في طيّ النّسيان، ومن هذه الأخطار المحدقة، التّعدد اللغوي بشكليه ، الازدواجيّة والثّنائيّة اللغويّتان، اللتان غزتا مجتمعنا، حتى الأماكن الرّسميّة منه، ففضّل الكثير، الابتعاد عن الفصحى وأحلّوا محلّها العاميّة المهجّنة باللغة الفرنسيّة في أغلب الأحيان، ومنهم من استبدلها تماما بالفرنسيّة.

لقد اعتمدنا في هذه الدّراسة على المنهج الوصفي التّحليلي ، كونه يتلاءم مع طبيعة دراستنا بغية الحصول على حلول لإشكاليّتنا المطروحة .

1. تعريف اللغة العربية الفصحى :

2.1لغة: الفصحى لغة من مادّة فصح ومعناها الظّهور والبيان ومنها « أفصح اللبن إذا انجلت رغوته، وفصح فهو فصيح، قال الشّاعر: وتحت الرّغوة اللبن الفصيح، ويقال أفصح الصّبح إذا بدا ضوؤه، وأفصح كلّ شيء إذا وضح....»(1).

2.1اصطلاحا: لقد اهتمّ كثير من العلماء واللّغويين باللّغة العربيّة الفصحى حيث قال عنها محمد العيد : «الفصحى هي لغة قريش، قضيّة نالت من الشّهرة قديما وحديثا ما يكاد يصل إلى حدّ البديهيّات»(2) أي أنّ اللغة التي تعدّ اليوم الفصحى هي لغة أهل قريش، وهي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، والتي كانت لسان رسول رب العالمين عليه الصلاة والسلام وهو أفصح وأبين الناس أجمعين، مصـــــداقا لقـــولـه صلّى الله عليه وسلّم: « أنا أفصح العرب بيد أنّي من قريش »

والفصحى كما يعرّفها بعض الدّارسين، هي اللغة التي تستخدم في تدوين الشّعر والنّثر، والإنتاج الفكري والعلمي، تخضع لقوانين تضبطها، وتحكم عباراتها، وهي تتوخّى الإيضاح والإعراب، فالتّعرف على قصد الآخر يتمّ من خلال الإعراب، فمثلا قول أحدهم كلّمت خديجة فاطمة دون إعراب يجعل الكلام مبهما، فله احتمالان ولا يزول الإبهام إلا بالإعراب وبالتّالي تحقيق غاياتها،وقال آخرون : بأن ّ اللّغة العربيّة مغرقة في القدم، فهي لغة مكتملة النّمو، استطاعت أن تعبّر عن دقائق المشاعر الإنسانيّة والصّور والأحاسيس، وهي التي حدّدت هوّيّة العربي، تنحو في ثنايا تكوينها وخصائصها الذّاتية منحىً إنسانيّا وعالميًّا، يصل إلى آفاق العالميّة والإنسانيّة، وقد تجسّد هذا المنحى عندما أصبحت لغة الوحي الإلهي، واختارها الله سبحانه وتعالى لغة التّنزيل العزيز، إذ يقول في محكم آياته: ﴿ إنّا أنزلناه قرءانا عربيّا لعلّكم تعقلون﴾ [يوسف:2]. وورد في آية أخرى ﴿ وإنّه لتنزيل ربّ العالمين نزل به الرّوح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسانٍ عربيٍّ مبين﴾ الشعراء :195 وقال جلّ في علاه ﴿ كتاب فصّلت آياته قرءانا عربيّا لقوم يعلمون﴾ [فصّلت: 2]. وسمّيت العربيّة بالفصحى نسبةً إلى الفصاحة وهي : «قوّة العبارة، ونصاعة البيان، وحسن التّعبير»(3).

3. تعريف العامّيّة:

1.3لغة: وردت العاميّة في المعجم الوسيط في مادّة عامي، فعرِّفت بأنها : « لغة العامّة، وهي خلاف الفصحى والعاميّ من الكلام ما نطق به العامّة على غير لسان العرب»(4).

2.3اصطلاحاً: لا تخلو أيّ لغة من لغات العالم من عامّيّات يتداولها النّاس في شؤون حياتهم، فلا وجود لوحدة اللّغة مطلقا، فمثلا العرب تجمعهم اللغة العربيّة ولكن لهجاتهم مختلفة، ونفس الشيء لناطقي الفرنسيّة والإنجليزيّة وغيرهم .

واللغة العامّيّة كما يعرّفها الدكتور محمد عبد الله عطوات «هي لغة الحديث التي نستخدمها في شؤوننا العادية، وهي لا تخضع لقوانين تضبطها، وتحكم عباراتها لأنها لغة تلقائية معتبرة تبعا لتغيّر الأجيال وتغيّر الظّروف المحيطة بها »(5).

ونفهم من هذا القول أنّ العاميّة هي اللغة العادية التي يستعملها الفرد في حياته اليوميّة، كما أنها تتغيّر بتغيّر الظّروف، المحيطة بالفرد وهذا ما يفسّره تعدّد اللهجات والعامّيّات في بلد واحد، أو هي عبارة عن «نمط من الاستخدام اللغوي، داخل اللغة الواحدة، يتميّز عن غيره من الأنماط بجملة من الخصائص اللغويّة الخاصّة، ويشترك معها في جملة العامّيّة.»(6).

ومن خلال هذا التعريف يتّضح لنا أنّ العلاقة بين العامّيّة واللغة الرسمية ، هي علاقة عموم وخصوص، حيث أنّ اللغة الرّسميّة تشتمل على عدّة لهجات، وتتميّز ببعض الخصائص عن اللهجات المتفرّعة عنها، إلاّ أنّها تشترك معها في صفات أخرى، هي الصّفات الكلّيّة(7).

وعلى هذا الأساس نخلص إلى أنّ العامّيّات المهذّبة التي لم تتهجّن بالعبارات الأعجميّة؛ مثل لهجة سكّان مسعد بالجلفة، تنتمي في أصلها إلى اللغة العربيّة الفصحى، وأنّها لغة الاستعمال في الحياة اليومية لدى كلّ الأفراد على اختلاف مستوياتهم وثقافاتهم، سواء كان طبيبا أو فلاّحا أو شرطيّا، أو متعلّمًا أو غير متعلّم، أو مثقّفا أو جاهل، وهذا نظرا لمرونتها وسهولتها.

4. واقع اللغة العربية في المجتمع الجزائري:

تاريخ اللغة العربيّة موصول بالفتح الإسلامي في بلاد الجزائر، الذي كان حوالي 82 هـ، وهذا لاعتناق الضاد لغة القرآن الكريم، فازدان اللسان الجزائري بتلك اللغة، وأضحت اللغة الأولى لأهل الجزائر.

ولمّا جاء الاستدمار الفرنسي، عمل كلّ السّبل، وجرّب كلّ الحيل، للقضاء على اللغة العربية، حيث اعتبرها لغة أجنبيّة في بلدها، ووسط أهلها، وهذا بهدف تجهيل الشّعب الجزائري، وإفقاده هوّيّته وشخصيّته، وهذا لعلم الفرنسيين بقوّة اللغة العربيّة، ومن ثمّ كان القضاء عليها من أهمّ أولويّاتهم، يقول Alfred Rambo ألفريد رامبو وزير التّعليم الفرنسي (1897) : « يجب أن نضمن السيطرة للغتنا، وأن ندخل في أذهان المسلمين الفكرة التي نحملها نحن أنفسنا عن فرنسا ودورها في العالم، وأن تحلّ محلّ الجهل والأفكار المسبقة المنغلقة »(8).

وفي سبيل تحقيق أهدافها، حاربت فرنسا المدارس والمساجد والزّوايا وكلّ ما يمكن أن يحافظ على اللغة العربيّة، بل شجّعت العامّيّات المتداولة ، للقضاء على اللغة الجامعة، ولولا حفظ القرآن لما بقي للعربيّة في مجتمعنا أثر.

استقلت الجزائر بعدها ولكنّ آثار فرنسا بقيت وإلى اليوم، إذ نجح الاستعمار طبع لسان الجزائريّين بالكلمات الفرنسية، وخاصة في المدن الكبرى، بل صارت لغة تواصل الجزائريين عبارة عن هجين لغوي، بين العربية، والعامية، والأمازيغية، والفرنسيّة، لغة لا هي شرقيّة و لا غربيّة، حتى قيل عنهم: « إذا رأيت خطابا لحمته عربية، وسداه فرنسي فاعلم أنّ صاحبه جزائري»(9).

وهذا ما يتجلّى بوضوح في حاضرنا اليوم، وليس عجيبا ، فالمغلوب مولع بحضارة الغالب. ولقد تدخّل رئيس الجمهوريّة عبد العزيز بوتفليقة يوما غاضبا من لغة التّواصل بين الجزائريين فقال: لم أتبيّن ما اللغة التي يتحدّث بها الجزائريّون، فلا هي عربيّة ولا هي فرنسيّة ولا هي أمازيغيّة، فهو خليط منبوذ، وكلام هجين، لا نكاد نفهمه.

فرغم جهود الثّورة الجزائريّة في محاربة فرنسا وسياستها، ونجاحها في المحافظة على وحدة تراب الجزائريّين، إلاّ أنّها لم تحم لغتهم العربيّة، التي تعتبر هوّيّتهم من التّهجين والرّطانة، ولولا جهود جمعيّة العلماء المسلمين، التي رفعت شعار(الإسلام ديننا والعربيّة لغتنا، والجزائر وطننا)، وعمل الزّوايا على تحفيظ القرآن الكريم في الصّدور لتمكّنت فرنسا من تحقيق مبتغاها، وتغييب لغة الضّاد عن كلّ الجزائريّين، وهذا عكس الثّورة الفيتناميّة التي تعدّ والثّورة الجزائريّة أعظم ثورتين في القرن العشرين، حيث عمل الفيتناميّون بوصيّة قائدهم HÔ Chí Minh هوشي مينه، الذي طالبهم بالمحافظة على صفاء اللغة الفيتناميّة كما يحافظون على صفاء عيونهم .واليوم وبعد أكثر من خمسين سنة عن استقلال الجزائر من احتلال فرنسا، نجد عددا من الجزائريين يفضّلون اللغة الفرنسيّة على العربيّة، إذ لم يعودوا ينظرون إلى الفرنسيّة

كأداة لاكتساب المعرفة، وإنما يحسبون التّطوّر والرّقيّ والحضارة في النطق بلغة Molièreموليير، والتي أصبح التّحكّم فيها شرطا أساسيّا للعمل في كثير من المؤسسات الإداريّة.

بينما باتوا يظنّون أنّ العربيّة قد أكل عليها الدّهر وشرب، ويحاولون أن يزرعوا هذا الفكر في كلّ أطراف المجتمع الجزائري، ولكن مادام للعربيّة أبناؤها المخلصون فهيهات هيهات لما يمنّون به أنفسهم، فالعامّيّة الجزائريّة، وخاصّة في الأرياف والمدن الصحراويّة، تبقى قريبة من العربية الفصحى، بل «إنّ 80٪ من كلماتها أصله عربي، وما نظنّه غير عربي معظمه عريق في الفصحى، إنّما دخله تغيير ظاهر، أو خفيّ لا يدركه السّامع، إلاّ بإعمال الفكر»(10) – بدون النّظر إلى الدّخيل عليها من الفرنسيّة – وهذا ما يفسّر فهم مختلف شرائح المجتمع للحصص والأخبار والدّوائر المستديرة، التي يكون الحديث فيها باللغة العربية .

هذا فيما يخصّ العامّة أمّا الجهات الرّسميّة والوثائق فهي معرّبة بحكم الدّستور فـ « اللغة العربيّة هي اللغة الوطنيّة والرّسميّة»(11)، إذ أنّ الدّولة الجزائريّة دولة عربيّة، وقد كان يطمح الرّئيس الرّاحل هوّاري بومدين –رحمه الله- إلى إرساء اللغة العربيّة في لسان العام والخاص، وهذا ما يتجلّى من خلال تعريبه لقطاع التّربية والتّعليم، وكثير من القطاعات الأخربوبالنّسبة للإعلام الجزائري فجلّه ناطق باللغة العربيّة، لغة الدّولة والدّين .

ورغم أنّ حديث الجزائريين ليس بالعربيّة الفصحى، إلاّ أنّهم مرتبطون بها، وهذا ما يعكسه لسانهم، الذي سبق وقلنا أنّ جلّ كلماته أصلها عربيّ، وإن أصابته بعض الرّطانة، ويرجع ارتباطهم بالعربية إلى عاملين:

- ❖ بحكم الانتماء إلى دين الإسلام، الذي نزل قرآنه بلسان عربيّ مبين.
- ❖ بحكم أنّها اللغة الرّسميّة الأولى للجزائر.

إنّ التّعدّد اللغوي بين الفصحى والعامّيّة، وحتّى بين الفصحى واللّغات الأخرى وخاصّة الفرنسيّة، أخذ اهتمام كثير من الباحثين، والدّارسين اللسانيين هو ما اصطلح الدارسون على تسميته بـ: الازدواجيّة والثّنائيّة اللغويّتين

فما المقصود بكلٍّ من الازدواجيّة والثّنائيّة اللّغويّة؟

5. الفرق بين الازدواجية والثّنائيّة:

1.5 حدّ الازدواجيّة:

أ- **لغة**ورد تعريف الازدواج في لسان العرب كما يلي:« المزاوجة والازدواج بمعنى الاقتران، وازدواج الكلام، وتزاوج : أشبه بعضه بعضا في السّجع، أو الوزن، أو كان لإحدى القضيّتين تعلّق بالأخرى، وزوّج الشّيء بالشّيء، وزوّجه إليه قرنه، وفي التّنزيل ﴿ كذلك وزوّجناهم بحورٍ حين﴾[الدّخان : 54.]»(12)، أي قرنّاهم(13).

وقد جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس أنّ "الزاي والواو والجيم أصل يدلّ على مقارنة شيء لشيء ومن ذلك << الزوج زوج المرأة >> قال تعالى ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنّة ﴾ [البقرة : 25.]، ويقال لفلان زوجان من الحمام، يعني ذكر وأنثى"(14).

ب) **اصطلاحا:**يرى كثير من الباحثين واللسانيّين العرب أنّ كلمة الازدواجيّة ترجمة للمصطلحالفرنسي**la diglossie**ويعتقد البعض أنّ أوّل من تحدّث عن ظاهرة الازدواج اللغوي، هو العالم الألماني c.krubacher**كارل كرمباخر** عام 1902م(15)، إلاّ أنّ هذاالقول لم يحظ بتأييد كثير من العلماء.

فذهب بعضهم إلى القول بأنّ العالم الفرنسي w.marçais **وليم مارسيه** هو الذي وضع هذا المصطلح بالفرنسيّة **la diglossie** وعرّفه في مقالة كتبها عام 1930:« هي التّنافس بين لغة أدبيّة مكتوبة، ولغة عامّيّة شائعة »(16).

وفي عام 1959، قدّم العالم الأمريكي ch. Ferguson شارل فيرغيسون هذا الاصطلاح إلى الانجليزيّة، محدّدا ظاهرة الازدواج اللغويّ بأنّها«وضع لغوي مستقرّ نسبيًّا يوجد فيه، بالإضافة إلى اللهجات في لغة ما»(17) ، أمّا A. Martini **أندري مارتينيه** فيقول : « نميل إذا إلى أن نخصّص تحت مفردة الازدواجيّة الألسنيّة موقفا اجتماعيّا، حيث تستخدم بشكل تنافسي لهجتان لهما وضع اجتماعي ثقافي مختلف، الأولى باعتبارها لغة محلّيّة، أي شكلا لغويًّا مكتسبًا أوّليًّا ومستخدمًا في الحياة اليوميّة، والأخرى لسانا يُفرض استخدامه في بعض الظروف من قبل أولئك الذين يمسكون بزمام السّلطة»(18).

وبالتّالي نجد أنّ Martini مارتيني يرى الازدواجية وضعا ثقافيّا لغويّا واجتماعيّا بين الفصحى والعامّيّة، ويعرّفها الدّكتور رمضان عبد التّوّاب فيقول: «الازدواج موجود، غاية ما هنالك أن يحدث نوع من التّقارب بين لغة الحديث، واللغة الأدبية، لحدوث التّفاعل بينهما فتتأثّر كلّ واحدة منهما بالأخرى»(19).

ويقصد بلغة الحديث العامّيّة، واللغة الأدبية الفصحى وكلاهما تتأثّران وتؤثّران في بعضهما.

وهو ما يراه إبراهيم أحمد في قوله : " الازدواج اللغوي بمعنى تواجد لغتين في مجتمع أو بلد من البلدان، اللغة الفصيحة أو الرّسميّة، أو لغة الكتابة، بجانب اللغة المتداولة، أو اللهجات السّائدة، التي يفكر بها الأفراد في حياتهم اليوميّة "(20).

ومن كلّ ما سبق يتبيّن لنا أنّ الازدواج اللغوي حسب معظم الباحثين هو تنافس بين نمطين عائدين للّغة نفسها، يتمثّلان لدينا في العربية الفصحى ومختلف العامّيات الجزائريّة.

2.5مفهوم الثّنائيّة:

أ) لغة: جاء في لسان العرب الثني بالكسر و القصر الأمر يعاد مرتين، وإن يفعل الشيء مرتين ...و الثني ضم واحد إلى واحد، والثني الاسم، ويقال ثنى الثوب لما كف من أطرافه وأصل الثني الكف، وثنى الشيء جعله اثنين ...و ثنيته تثنية جعلته اثنين(21).

ومن هنا نجد أنّ المعجم يدعم من يرى أنّ الثّنائيّة تستخدم للتعبير عن نمطين مختلفين، وبالتّالي لغتين مختلفتين وهو ما يجعلنا نميل إلى الرأي القائل بأن الازدواجية تكون بين الفصحى وعامّيّاتها، أمّا الثّنائيّة فتكون بين لغتين مختلفتين، خاصّة أنّه الأشيع بين أغلب الباحثين.

ب) اصطلاحا هذا المصطلح ترجمة للمصطلح الفرنسي **le bilinguisme**،وقد عرّفها Bloomfield**بلومفيلد** بأنّها « إجادة الفرد التّامّة للغتين »(22)، وعرّفها macnamara **مكنمار** بأنّها : «امتلاك الفرد للحدّ الأدنى من مهارة لغويّة واحدة في لغة ثانية »(23)، أمّا Albert & Obler**ألبرت** و **أوبلر** فقد اتّخذا في تعريف هذه الظّاهرة موقفا وسطا فذهبا إلى أنّها الاستخدام المثاليّ للغتين أو أكثر(24).

أمّا محمد الخولي فقد عرّفها بطريقة أكثر دقّة وشموليّة فقال: « الثّنائيّة اللغويّة هي استعمال الفرد أو الجماعة للغتين بأيّ درجة من الإتقان، ولأيّ مهارة من مهارات اللغة ولأيّ هدف من الأهداف.»(25).

ومن خلال هذه التعريفات السّابقة من بعض ما قاله علماء اللسان من العرب والغرب يتبيّن لنا بأنّ كثيرا منهم يعتبرون الثنائيّة اللغويّة استعمال فرد أو جماعة للغتين مختلفتين في البنية والنّطق والقواعد كاللغة العربية واللغة الفرنسيّة في المجتمع الجزائري.

هناك خلط كبير بين الازدواجيّة والثّنائيّة، لدى اللسانيين العرب في التّعريف الاصطلاحي ، فهناك من يعتبر الازدواجيّة هي العلاقة بين اللغات الفصيحة ولهجاتها، والثّنائيّة بين لغة ولغة أخرى، مثل رمضان عبد التّوّاب، محمّد علي الخولي، محمّد عفيف دمياطي هذا الأخير يقول

عن الثّنائية هي:« الحالة اللغوية التي تعنى بها المجتمعات اللغوية والأفراد الذين يسكنون مناطقا أو بلدانا تستعمل فيها لغتان على نحو متقن» (26)، وهناك من يقول العكس، أي أنّ الثّنائيّة هي بين لغة ولهجاتها، والازدواجيّة بين لغة ولغة أخرى، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر د. نصر الدّين بن زرّوق، كمال بشر د. عمّار ساسي إذ ورد عن هذا الأخير قوله:« هذه العلاقة غير الطّبيعيّة... أو الاختلاط الحاصل بين اللّغة العربيّة، وبين لهجاتها العامّيّة المختلفة في المجتمع العربيّ المعاصر،يناسبه بالتّقريب في نظري مصطلح الثّنائيّة، الذي يقابله في الفرنسيّة مصطلح (Diglossie) » (27)

6 أسباب الازدواجيّة اللغويّة(28):

لا شكّ أنّ انتشار التّعدّد اللغوي في اللسان الجزائري، يرجع إلى مجموعة أسباب، هيّأت الأرضيّة لوقوع العربيّة في هذا الصّراع، ولم يأت من العدم، وسنحاول الكشف عن أهمّ هذه الأسباب:**2-1-2 1.6الاحتكاك بالثّقافات واللغات الأخرى:**كما انتشرت اللغة العربيّة في مناطق مختلفة، خاصّة أثناء الفتوحات الإسلاميّة، فقد امتزجت بلغة البلاد الأصليّة كالأمازيغيّة والفارسيّة والحبشيّة وغيرها، فالاحتكاك الذي يحدث بين لغتين، أو لهجتين يؤدّي حتما إلى تأثّر كلٍّ منهما بالآخر، « فرغم أنّ اللغة العربيّة انتصرت على اللغات الأخرى إلاّ أنّها لم تخرج سالمة من التّحريف في ألسنة المتكلّمين لأنّ عاداتهم الصّوتيّة والنّطقيّة السّابقة تؤثّر في نطقهم للّغة العربيّة »(29).

كما أنّ الأوضاع السّائدة في تلك المناطق تحتّم ظهور مصطلحات جديدة وبالتّالي ظهرت لهجات مختلفة، ويقول عن هذا الدكتور محمد فهمي الحجازي: "يفسّر اللغويّون نشوءاللهجات العربيّة الوسيطة، بعامل الاحتكاك بين العربيّة الوافدة، بمستوياتها المختلفة، واللغات الأقدم في المناطق المفتوحة " (30)

2.6.الاستعمار لقد عمد الاحتلال الفرنسي إلى تحطيم اللغة العربيّة، ووجد في اختلاف اللهجات الإقليمية ذريعة للقضاء على اللغة المشتركة، « فظهرت منه حملات مسعورة تتحدّث من ناحية عن جمود الفصحى وصعوبتها، وبداوتها وتخلّفها عن حاجة العصر، وتدعو من جهة أخرى إلى العامّيّة، وتضفي عليها مزايا من الفصاحة والسّهولة والمرونة، والقدرة على التّعبير عن متطلّبات الحياة، وهذا كلّه مردّه أنّ الاستعمار كان يبغي إحلال لغته محلّ العربيّة، فإن تعذّر هذا فإنّ اللهجات العامّيّة هي السّلاح الذي يقضي به على لغتنا »(31).

وقد استعملت فرنسا جملة من الأساليب في محاولة لفرض لغتها، وإزالة اللغة العربيّة، فحاربت المدارس الإسلاميّة والزّوايا، محاولة استبدالها بالمدارس الفرنسيّة، بالإضافة إلى أسماء الشّوارع والمجلاّت، وحتّى الوثائق الإداريّة والمستندات، كانت كلّها مفرنسة، يقول عن هذا أحمد حقي الحلي :«اللغة من وسائل الارتباط الرّوحي بين أفراد المجتمع، وهذا ما يفسّر لنا حرص الدّولة الاستعماريّة على نشر لغتها، لأنّها تكتسب بهذا الغزو اللغوي قلوبا وميولا »(32) .

إنّ هذه السّياسة الاستدمارية عملت على طمس لغة الشّعب الجزائري العربيّة، وتجهيله، ولا تزال آثارها بادية إلى يومنا هذا على كثير من الجزائريّين.

3.6 وسائل الإعلام تعرف وسائل الإعلام اليوم وخاصّة الخاصّة منها بعدم الالتزام باللغة الفصيحة، فجلّ القنوات الإعلاميّة تعتمد العامّيّة لغة التّخاطب – إلّا ما رحم ربّي – وتنقل إشهارات بلغة هجينة تصبغها الرّطانة، ناهيك عن الأغاني التي تنقلها، والتي تتحدّث بلغة أقلّ ما يمكن أن يقال عنها أنها ركيكة.

و لا شكّ أنّ لوسائل الإعلام تأثيرا واسعا في مختلف شرائح المجتمع، وبوضعه هذا وبلغته المستعملة هذه فإنّه ناشر للعامّيّة مشجّع لها.

4.6 العولمة:أصبح العالم قرية واحدة في ظلّ العولمة، فتأثّرت الدّول النّامية بنظيراتها المتطوّرة في شتّى مجالات الحياة، ومنها اللغة، حتّى صار المتحدّث بغير العربية في أمّتنا يعدّ متحضّرا، فتعلّقنا بأذيال الغرب،

وابتلينا بعدم الثّقة بالنّفس، فأضحى شبابنا ميّالًا لاستعمال اللغة الأجنبيّة، وتفضيلها على لغة أجداده (**العربية**)، التي صار كثير منهم يستحي أن يتحدّث بها أمام أقرانه.

وقد سوّلت له نفسه الظّنّ برجعية وتخلّف لغة القرآن، التي اتّهموها بهتانًا وزورًا بالعقم، وعدم القدرة على مواكبة العصر مصداقا لقول الشّاعر حافظ إبراهيم:

رَمَوْنيبعُقْمٍ في الشَّبابِ وليْتَني عَقِمْتُ فلَم أَجْزَعْ لقَوْلِ عُداتِي
وسِعْتُ كِتابَ اللهِ لَفْظًا وغايَة وماضِقْتُ عن آيٍ به وعِظاتِ
فكيف أَضِيقُ اليومَ عن وَصْفِ آلَةٍ وتَنْسِيق أسماء لمُخْتَرَعاتِ
أنا البَحْرُ في أَحْشائِه الدُّرُّ كامِنٌ فهل سَأَلوا الغَوَّاصَين عن صَدَفاتِي(33)

إنّ هذا التأخر في العصرنة ومختلف العلوم، ليس مردّه ضعف اللغة العربيّة أو تخلّفها، وإنما يعود إلى تراجع أبنائها وتخلفهم، فيوم كانوا ذوي قوّة، كان العلم بين أيديهم، وكان الغرب يستمدّه منهم تقول المستشرقة الألمانية Sigrid hunke**زيغرد هونكة** في كتابها (**شمس العرب تسطع على الغرب)** « دبّ في الطّبّ الغربيّ فجأة في القرن السّادس عشر، شعور غريب بالخجل من تقليده للطّبّ العربيّ وقد بقي قرونًا طويلةً من الزّمن نسخة ممسوخة عنه، وكانت معظم المخطوطات الأوروبيّة الطّبّيّة في أوّل عصر التّرجمة وحتّى القرن السّابع عشر تقليدا للعرب، ونقلا عنهم . »(34).

أمّا عرب اليوم فكثير منهم مثلهم ﴿ كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴾[الجمعة 5] أو كما قال طرفة بن العبد:

كالعيس في البيداء يقتلها الضّما *** والماء فوق ظـــهرها محمول(35).

حباهم الله بلغة ثريّة ولكنّهم استخفّوا بها، وآثروا عليها غيرها، مستبدلين الذي هو أدنى بالذي هو خير، رغم أنّ الواقع يثبت أنّ العلوم يمكن أن تدرّس بأيّة لغة، والتّطوّر يمكن أن يحصل في أيّ أمّة، مهما كانت لغتها، فهذه الصّين واليابان والفيتنام كلّها تدرّس العلوم باللغة الوطنيّة، كما أنّ تجربة المؤسسات التّعليميّة الصّهيونيّة في إحياء اللغة العبريّة، وجعلها لغة العلوم والثّقافة و الطّبّ والهندسة والكيمياء والفلك وغيرها، خير دليل على أنّ التطوّر لا يقاس باللغة، رغم أنّ اليهود أخلاط شعوب أوروبيّة تجيد لغات حيّة، أكثر تطوّرا وتقدّماً من اللغة العبرية، لذا فالأولى بنا وبالنّشء حفظ كرامتنا وهوّيّتنا، ولا يتأتّى لنا ذلك إلّا بإحياء لغتنا والنّهوض بها.

7. مجالات الازدواجيّة اللغويّة(36):

لقد سيطرت الازدواجيّة على العديد من المجالات، فشاع تأثيرها في كلّ مكان، فبالإضافة إلى الشّوارع، نجد هذه الظّاهرة بين الموظّفين، وفي البيوت، والأسواق، وحتّى المؤسّسات، وأجهزة الإعلام والثّقافة، بل في كلّ جوانب الحياة العامّة.

1.7 في البيت: إنّ الجوّ العائلي هو المصدر الأول الذي يأخذ منه الطّفل لغته، فهو بمثابة المؤسسة التّربويّة الأولى، «فالصّبيّ عندما يدخل هذا العالم، ويبدأ في سماع ما حوله، والإصغاء إليه، تنهال على مسامعه سيل من الأسماء المشوّهة، والكلمات المحرّفة، والتّعبيرات الفاسدة، والألفاظ الدّخيلة، وتنطبع هذه في صفحات دماغه اللّين، فيألفها سمعه، ويردّدها لسانه»(37).

وبالتّالي فالمنزل هو العنصر الأوّل والفعّال في الحدّ من ظاهرة الازدواجيّة والدّخيل، أو تطويرها، والملاحظ على البيوت الجزائرية شيوع العامّيّة المصبوغة بألفاظ فرنسيّة كثيرة.

2.7في البيئة: وممّا يسهم في تعميم الازدواجيّة ونشرها، البيئة العامّة(من شارع، ومقهى، ومسجد، وأماكن العمل...)، «إذ نجد أنفسنا نسمع فيها سيلا من الألفاظ الفاسدة، والعبارات المغلوطة، والكلمات

الدّخيلة، تطرق أسماعنا صباح مساء، زد على ذلك تلك الرّطانة الأعجميّة، التي غزت ألسنة كثيرٍ ممّن نسمّيهم تجوّزا مثقّفين، وكأنّ كلمة "bonjour"أحلى من كلمة " صباح الخير"، وكلمة "merci" أجمل من "شكرا"، وكلمة " coiffeur" أوضح من " حلاّق"، وكأنّ الإنسان لا يُسمّى مثقّفا إلّا إذا رطن بهذه الكلمات وأمثالها، في اللغتين الفرنسيّة والإنجليزيّة»(38).

ومن هنا نلاحظ أنّ الازدواجيّة لا تقتصر على البيت ، وإنّما تتعدّاه إلى مختلف نشاطات الحياة.

3.7عند المثقفين:لم تقتصر الرّطانة والتّهجين والازدواجية في المجتمع العربي على السّوقة فقط، بل تعدّتهم إلى الفئة المثقّفة، وقد عبّر طه حسين عن هذا بقوله « انتقلت عدوى الازدواجيّة إلى الطّبقة المسمّاة بالمثقّفة، فانعكست هذه الظّاهرة على إنتاجهم، لنجد الكثير منهم يتناول الألفاظ الأجنبيّة »[†]. فكثير من الأدباء وخاصّة كتّاب الرّواية، يستعملون من حين إلى آخر ألفاظا أجنبيّة، والشّيء نفسه ينطبق على الإعلام المحسوب على الصّحافة النّاطقة بالعربيّة، والذي يروّج لكثير من الألفاظ الدّخيلة مثل: ديمقراطية، إيديولوجيّة، بورصة .... وينقل إشهارات مكتوبة بالفرنسيّة بأكملها، وكأن هذه الألفاظ ليس لها ما يقابلها بالعربيّة، أو أنّ مجتمعنا لا يمكنه فهم ما يقال بلغته، ويفهمه بلغة غيره.

إنّ هذه الرّطانة انعكست على بقيّة أفراد المجتمع فلا نجد فردا إلاّ وفي حديثه بعضاً أو كثيرا من المصطلحات الفرنسيّة.

[†] طه حسين، (1982) الأدب والنّقد، المجلّد 5، دار الكتّاب اللبنانيين، ب ط، بيروت لبنان، ص 391.

8.خاتمة:

إنّ الازدواجية اللغويّة تطبع اللسان الجزائري، في شتّى المجالات والبيئات، لعدّة أسباب سبق ذكرها، ويطبع هذه الازدواجيّة الرّطانة والتّهجين، بإدخال كلمات فرنسيّة وسط الكلام، وهذا بنسب متفاوتة، من فرد إلى آخر، ومن بيئة إلى أخرى، فنلاحظ فصاحة العربيّة وصفاءها في البوادي والصّحاري، بينما نلاحظ العكس في المدن الكبرى

وفي لهذا لا يسعنا إلاّ أن نقول أنّه رغم اختلاف الباحثين في تحديد مفهوم موحّد لظاهرتي الازدواجيّة والثّنائيّة اللغويّة ولو أننا نميل إلى القول بأنّ الازدواجيّة بين الفصحى وعامّيّاتها، والثنائيّة استعمال لغتين مختلفتين، إلاّ أن المتّفق عليه أنّ كلاهما مهدّد للغة الضّاد، باستبعادها عن الاستعمال، خاصّة مع انتشارهما في مجالات عدّة، كالبيت والمجتمع والصِّحافة ... وهذا يعود لأسباب مختلفة كالاستعمار والعولمة ولغة الإعلام، بتشجيع استعمال العامّيّات وتداولها... والخوف الخوف أن تصل هذه الآفّة إلى الأوساط الحسّاسة كالتّعليم.

9. قائمة المراجع:

1. الخفاجي بن سنان، ، سر الفصاحة، ط 1، الرحمانية مصر، 1952، ص 56- 57
2. محمد العيد، المستوى اللغوي للفصحى واللهجات، عالم الكتب، ب ط، القاهرة مصر، 1981، ص 52.
3. حسين عبد القادر، ، فنّ البلاغة، عالم الكتب، ط2، بيروت لبنان، د ت ، ص 65.
4. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدّوليّة، ط4، القاهرة مصر، 2004 ، مادّة عامي.
5. محمد عبد الله عطوات ، اللغة الفصحى والعامّيّة، دار النّهضة العربيّة للطباعة والنّشر، بيروت لبنان، 2003، ص 71
6. محمد .محمد داوود ، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة مصر، 2001، ص 64.

7. المرجع نفسه، ص نفسها
8. محمد العربي ولد خليفة، ملاحظات أوّلية حول العربيّة، من محن الكولونياليّة إلى هيئتها الاستشاريّة، مجلّة المجلس الأعلى للّغة العربيّة (عدد خاص) ص 110.
9. مختار نويوات ، مداخلة بعنوان الصّلة بين العربيّة الفصحى وعامّيّاتها بالجزائر –المعالم الكبرى -، من منشورات المجلس الأعلى للغة العربيّة، كتاب الفصحى وعامّيّاتها، دار الخلدونيّة للطباعة والنّشر والتّوزيع : القبّة الجزائر،2008، ص 135.
10. د. مختار نويوات، (الصّلة بين العربيّة الفصحى وعامّيّاتها بالجزائر –المعالم الكبرى)، مرجع مذكور سابقا، ص 132.
11. المادّة الثالثة من الدّستور الجزائري. سنة 2008
12. محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي ، لسان العرب، دار المعارف، ب ط، القاهرة، مصر،1919، مادّة ز و ج
13. محي الدّين عبد الحميد، ومحمد عبد اللطيف السّبكي، المختار من صحاح اللغة، مطبعة الاستقامة، ب ط، القاهرة ، ص 221
14. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا القزويني ، معجم المقاييس في اللغة، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر: بيروت لبنان، دت،ص 188
15. الزغول محمد راجي، ازدواجيّة اللغة نظرة في حاضر اللغة العربيّة، وتطلّع نحو مستقبلها في ضوء الدّراسات اللغويّة)، مجلّة مجمّع اللغة العربيّة الأردني، السّنة الثّالثة، العدد المزدوج 9-10، 1980، ص 119 .
16. المرجع نفسه، ص 120
17. القعود عبد الرحمن محمد، الازدواج اللغوي في اللغة العربيّة، مطابع التقنية للأوسفت، ط1، الرياض السعودية ، 1997،ص219.
18. أندري مارتينيه، ت. نادر سراج ، مجلة العرب والفكر العالمي – ع 11- مركز الإنماء، (الثنائيّة الألسنيّة والازدواجيّة الألسنيّة، دعوة إلى رؤية ديناميّة للوقائع)،.1990
19. رمضان عبد التّوّاب،، فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي– ط 6 - : القاهرة مصر،1999،ص 06
20. إبراهيم أحمد ، مقال بعنوان: أضواء على بعض مشكلات الأمّيّة في البلدان النّامية، مجلة الفيصل– ع 8- الأردن 08 ماي 1984.،1984.
21. بن منظور، لسان العرب دار صادر للطباعة و النشر بيروت لبنان ج 14 ص115-117-120

22. Bloomfield، L. (1933). Language .New York: Holt، Rinehart and Winston، P. 132.

23. Macnamara، J. (1967). The Linguistic independence of bilinguals، Journal of Verbal Learning and verbal Behavior، 6، PP. 719-736

24. Albert، M. and Obler، L. (1978) The Bilingual Brain. New York: Academic Press، P. 73.

25. الخولي محمد علي ، الحياة مع لغتين " الثنائيّة اللغويّة" , مطابع الفرزدق التجارية – ط1 - : الرياض السعودية ,1998 ص 20

26. محمد عفيف الدين دمياطي، محاضرة في علم اللغة الاجتماعي، ط1، مطبعة دار العلوم اللغوية، سوربايا، 2010 ، ص: 79

27. عمّار ساسي، اللّسان العربي وقضايا العصر، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن،2009، ص 104

28. حساين سهام، (التّعدّديّة اللّسانيّة وأثرها على المجتمع الجزائري)، من: التّعدّد اللّساني واللّغة الجامعة ج1، المجلس الأعلى للّغة العربيّة، المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، الرغاية الجزائر، 2014، ص 426-438 بتصرّف

29. حكبم رحمون ()، (لغة الجزائريين عقدة أم قدوة)، من: اللغة العربية بين التهجين والتهذيب، المجلس الأعلى للغة العربية، دار الخلدونية للطباعة والنّشر والتّوزيع، القبّة،2010، ص 336.

30. محمود فهمي حجازي ، اللغة العربية في العصر الحديث . قضايا ومشكلات، دار قباء . ب ط، القاهرة مصر،1998 ، ص 9.

31. حاتم صالح الضامن،نحو لغة عربية سليمة، منشورات وزارة الثقافة والفنون، سلسلة دراسات، الجمهورية العراقية، 1981 ، ص 13

32. أحمد حقي الحلي، (اللغة العربيّة وطرائق تدريسها)، من : اللغة العربية والوعي القومي، مركز دراسات الوحدة العربيّة بالاشتراك مع المجمّع العلمي العراقي ومعهد البحوث والدّراسات العربيّة، بيروت لبنان، ص ،1984، 363.

33. من قصيدة اللغة العربية، ديوان حافظ إبراهيم مطبعة دار الكتب القاهرة مصر ط 2، 1937

34. ، يمينة مصطفاوي ، نقلا عن زيفرد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب (اللغة العربيّة وقريباتها : تعايش سلمي واحترام متبادل)، من: التّعدد اللساني واللغة الجامعة، ج1، المجلس الأعلى للغة العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعيّة : الرغاية الجزائر،2014، ص 306.
35. علي محمد الكفري، من كتاب أبيات فاقت شهرة قائليها، ط1، العبيكان للنشر الرياض السعودية، 2012، ص 32

36. رشيدة آيت عبد السلام، (إسهام التّعدّديّة اللّغويّة في تعليم اللّغة العربيّة)، من: التّعدد اللساني واللغة الجامعة، ج2، المجلس الأعلى للغة العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعيّة : الرغاية الجزائر،،2014ص 331-337. بتصرّف
37. عبد الفتّاح المصري، (لماذا طلاّبنا ضعاف في اللغة العربيّة،) من مجلّة التّربية، ع3، ص 85.
38. المرجع السابق نفسه، ص 85
39. طه حسين، الأدب والنّقد، المجلّد 5، دار الكتّاب اللبنانيين، بيروت لبنان،ب ط،1982، ص 391.